الاتجاه النفسي فى دراسة اللغة والأدب

المادة المختارة لمرحلة الماجستير
الفصل الدراسي الأول

أ.د. عبدالستار صالح البناء

لقد تعددت المعارف لدى الإنسان منذ أن خلقه الله.

ـ أول معرفة طلبها الله من الإنسان هي "المعرفة العقدية؛ الدينية، التوحيدية، التي طلبها الله من سيدنا آدم عليه السلام.

ـ و قد تطورت هذه المعرفة مع تطور البشرية و مع إرسال الرسل و الأنبياء من الإيمان بالله إلى تبيان و إبراز بعض بعض الإعمال التي ابتغاها الله من عباده من الأعمال الصالحات بمختلف صيغها...حتى وصلت إلى الكمال على يد الرسول محمد عليه الصلاة و السلام.

ـ و تحت وطأة الطبيعية و علاقة الإنسان بها سلبا وإيجابا ظهرت إلى الوجود مجموعة من المعارف الأخرى التي تغطي حاجات الإنسان.

ـ و قد برزت و تعددت هذه المعارف مثل:

ـ علم العمارة. علم السحر، علم الأدب،علم الفلك و الأجرام و الفضاء، علم القانون ـ قانون حمرابي، علم النقد، علم الاقتصاد، علم التكنولوجيا التي غمرت حياة الإنسان الآن...

ـ هذا التعدد كان بموازاة صعوبة تحديد معايير و خصائص الإنسان و تحديد معالم كينونته و نفسياته و استجاباته المختلفة لما يدور حوله، مما يؤثر سلبا و إيجابا في حياة البشرية قاطبة حتى الآن.

تداولية العلاقة بين الأدب و النفس:

من المعلوم بالضرورة أن هناك علاقات مختلفة و متعددة بين الإنسان وبين كل عناصر و مكونات الطبيعة، مما ساهم في العملية الإبداعية لديه لمقاصد مختلفة و متعددة، لعل من بينها و من أهمها هو الإبداع الأدبي، مما يؤكد بأن هناك علاقة قوية جدا بين الأدب و بين جميع الأحاسيس التي تشكل شخصية الإنسان، و ذلك لأنه إنتاج نفسي بطبعه و في عمقه، و ذلك بخلاف مختلف العلوم التي منشأها و موقعها و منشأها العقل و ليس الإحساس.

و لهذا السبب اختلف القراء و النقاد في وضع تقييم شامل و محدد لسيمات و لمعالم الأدب و لخصائص الأدبي، لا لشيء لأن الأحكام كلها التي أصدرها أو كونها المشتغلون على الأدب كان نبعها و مصدرها الإحساس

و للتقرب قدر الإمكان من ذلك يجدر بنا أن نقدم تعريفا، ولو بسيطا للعناصر التي تتشابك فيها مقومات الشخصية المنتجة للأدب و بين هذا الأدب وفق ما انتهجه رواد و مناهج و مدارس "التحليل النفسي للأدب" و فق المختصرات الاتية:

١ ـ الشخصية:

ـ ما هي الشخصية؟ هناك مفاهيم متعددة حسب كل حقل، الذي يهمنا هو التعريف السيكولوجي.."..يرجع أصل مصطلح الشخصية إلى la personnlite إلى الكلمة اللاتينية "persona" والتي معناها الوجه المساعار أو القناع الذي يضعه الممثل على وجهه.." و الغرض من ذلك هو تشخيص خلق الإنسان، أي طباعه و مزاجه الخلقي.."

٢ ـ نظريات الشخصية: هناك نظريات كمتعددة لا تهمنا في حقل علم النفس، مما يجعلنا نختصر هذه النظريات في النظريتين التاليتين:ـ

أ ـ نظرية السمات...تصنيف كاتل..البورت..

ويقصد "بالسمة" تلك الخاصية أو الصفة الفطرية أو المكتسبة تمنيز الفرد عن غيره من الناس....مما يجعلهم مختلفون في سماتهم الجسمية و العقلية و المزاجية و الخلقية والاجتماعية....

ب ـ نظرية الأنماط ؛ ...يونج..؛ و يقصد بها تصنيف الأشخاص وفقا لخصائص معينة يشتركون فيها..أشخاص يشتركون مع غيرهم ..مما يجعلهم يتحدون و يشتركون مع غيرهم في سمات واسعة....

٣ ـ الشخصية و التحليل النفسي:

- فرويد:

ـ ينطلق فرويد من أن التطور النفسي للفرد يكرر سير تطور البشرية كلها...

ـ سير العمليات اللاشعورية يحدد خاصية نشوء المعايير الأخلاقية للسلوك البشري...

ـ ويعتمد في رأيه هذا على "الطوطم = الحرام أو المحرم" ليصل به إلى "عقدة أوديب" التي تتحكم فيها الغرائز و الموضوعات الجنسية تحت صراع و العلاقات اجتماعية الفردية...

- **أدلر:**

ـ ينطلق "أدلر" تلميذ "فرويد" و المخالف لنظريته، من :

"السيكولوجي الفردية" التي تتنازعها غريزتان:

ـ الشعور بالنقص....

ـ النزوع إلى السلطة.....

- **يونج :**

ـ ينطلق تلميذ "فرويد" و الثائر عليه أيضا "يونج" من :

"السيكولوجية التحليلية" التي تستند إلى:

ـ تأثير العوامل الموضوعية والذاتية و الذاتية الكامنة وراء استعداد الإنسان للقيام بنشاط معين....

ـ و تحدد هذه العوامل؛ و هي الخصائص و الصفات التي يكتسبها الفرد من داخل السرة و المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه.....

منهج التحليل النفسي

١ ـ علاقة الأدب بالأحاسيس النفسية.

تدخل تحت هذا المحور مجموعة من المصطلحات هي:ـ

أ ـ **المشاعر؛** و تنقسم إلى حسنة و إلى سيئة مثل الحب، الكره، الخوف، الأمان، و هذه المشاعر تعتبر حالة متحركة رجراجة تنموا و تكبر بسرعة كما يمكنها أن تنطفئ و تنمحي بسرعة دون علم سبب بارز و ظاهر.و لها بعد فردي،

ب ـ الأحاسيس، و تنقسم هي الأخرى أيضا إلى حسنة و إلى سيئة، مثل المتعة، الألم، الجوع، العطش، و هي حالة أكثر حدة و قساوة على الفرد، و لها بهد فردي.

ج ـ العواطف؛ و هي جمع للمصطلحين السابقين، بحيث يمكن أن يشترك فيها أكثر من فرد، و هي الخاصية هي التي تجعلنا و تدفعنا إلى قراءة الأدب و الشعور بجماله أو النفور منه وفق بنية عاطفة كل قرائ، و لهذا السبب نجد لها بعدا اجتماعيا.

د ـ الصراع النفسي؛ و هو يتكون من أساس غريزي، بحيث تبتغي الدوافع الغريزية للتعبير عن نفسها، و في محاولتها هذه، تصطدم مع الأنا التي تقف لصد هذه النزعات توافقا مع الأوضاع الاجتماعية المقبولة من الأنا.

٢- علاقة الأدب بالنفس؛ و علاقة الأدب بكل المصطلحات السابقة، باعتباره من العلوم المعرفية المستقلة التي تبحث في جوهر الإنسان و علاقته بنفسه و بسلوكه، و بداخلية تؤرق صاحب النص الأدبي و تؤرق المشتهين و المحبين لقراءة هذا النص.....

"المناهج السياقية"

التي تميزت بحمولة أيديولوجية و بإسقاط خارج النص على مضمون النص و خصائصه الأسلوبية و الفنية.من أهم هذه المناهج:ـ

ـ **المنهج التاريخي؛ـ** **المنهج التاريخي؛** الذي يجتهد في البحث عن العلاقة بين النص الأدبي و خصائصه الجمالية و بين الفترة الزمنية التي أبدع فيها، قصد إبراز القضايا ذات التعالق القوي و الخفي المتخم بها النص الأدبي. وفي هذا الشأن يقول الناقد الإنجليزي "سبيلر" يعن تاريخ الأدب أولا و قبل كل شيء وصف و تفسير أدب شعب من الشعوب في لحظة تاريخية محددة"". ـ مناهج النقد الأدبي المعاصر،بين النظرية و التطبيق، د. سمير سعيد حجازي، الآفاق العربية، ١٨٧.

ـ **المنهج الاجتماعي؛** و قد بدأت طلائع هذا المنهج عند "هيبوليت تين" الذي أخذ ينظر إلى الأدب و يدرسه كظاهرة طبيعية، ثم تطورت هذه النظرة من بعده حين أخذ المتعاملون بهذا المنهج يعتبرون النص الأدبي إنتاجا اجتماعيا مثله مثل أي إنتاج يعمل المجتمع بتفاعلاته الطبقية/ الصراع الطبقي، على الإيحاء به إلى مبدع النص الذي هو جزء أساسي من هذا التفاعل و من هذا المجتمع.

و قد قوي هذا المنهج بعد قيام الثورة البلشوفية في روسيا سنة ١٩١٩ حيث اصبح دعاة هذا المنهج يطلبون من ألأديب الحق أن يكون منحازا إلى طبقة البروليتاريا؛ أي الطبقة الفقيرة ضد الإقطاع و الرأسمال و البرجوازية، مما نتج عن هذه التوجه مصطلحان مهمان في النقد الأدبي هما: **"الالتزام في الأدب"** و الجدلية و **"المادية الديالكتية"** في الأدب.

وقد غذت هذا المنهج الدراسات الماركسية و الفلسفة المادية التي قويت بعد إنشاء القطبين العالميين؛ العالم الشرقي الاشتراكي بزعامة روسيا و العالم الغربي الرأسمالي بزعامة أمريكا.

ـ المنهج النفسي؛ و هو الذي يقرأ أصحابه الأدب قراءة تمتد خلف سطحه الظاهري. و على الرغم من أن "أرسطو" في "نظرية التطهير" قد حاول أن يلج عالم أغوار النفس الإنسانية، غير أن "سيقموند فرويد" اجتهد في وضع الأسس العامة للقراءة النفسية للأدب وحاول على ضوء هذه الأسس أن يضع تفسيرا لظاهرة الإبداع الفني بواسطة فكرة "التسامي النفسي" لدى المبدع.

= ثم تطورت بعد ذلك المناهج النقدية تحت رؤية نقدية جديدة وصفت بـ "المناهج النسقية" و هي التي تدرس النص الأدبي من داخله و ترفض أن تفرض على النص آليات من خارج فضائه اللغوي و الجمالي، و قد تعدد رؤا هذه المناه من "بنيوية، تكوينية، سيميائية، و غيرها.....

التحليل النفسي للأدب

و قد بدت بعض مظاهر هذا التحليل للأدب منذ "أرسطو" و مرورا على "هيبوليت تين" حتى وصلت إلى "فرويد" و " كارل غوستاف يونج".

ـ نظرية التطهير عند أرسطو.

ـ عملية التأثير النفسي للأدب = كانت العرب تحتفل بنشوء شاعر و بميلاد "فرس"دليل على قوة الشاعر و الفرس في التغالب عند العرب...

ـ نظرية "التخييل/ الخيال" عند "حازم القرطاجني، ثم "كولردج" و أهميتها في خلق مواز متخيل للواقع و للمعيش من أجل التأثير على المتلقي.....

ـ التركيز على مسألتي "الحالة النفسية" و "التذوق" لدى المتلقي/ القارئ و مقابل ذلك في تذوق و الحالة النفسية للأديب من أجل "الإقناع"..

ـ ثم بعد ذلك أخذ البحث عن العلاقة بين الأدب و بين النفس يتداول بشكل متقطع و محتشم حتى جاء "فرويد".

سيجمون فرويد:

الذي ولد في شهر ماي ١٨٥٦م و بدأ مشروعه كطبيب نفساني في بداية الأمر..

ـ ثم بدأ يعتني بتحليل شخصية الفنان كـ "فرد" من المجتمع و قد ظهر ذلك بارزا في ما كتبه عن "ليوناردو دافينتشي"...و في دراسته لمسرحية "أوديب ملكا"....

ـ و رغم ذلك فقد ظل ما كتبه "فرويد" في بداية أمره قريب من التحليل النفسي المرضي منه من التحليل النفسي للأدب، و خاصة حين اعتمد على القضايا التالية:ـ

ـ التذوق الجمالي وخصائصه للفن كحالة نفسية في حد ذاتها و ليس في النص الأدبي.

ـ التخزين الخبراتي؛ ما يتعرض له الفنان و هو طفل و ما يلقاه بعد ذلك في حياته

ـ التعبير الأدائي؛ بحيث يستشف من هذا التعبير كل ما له علاقة بالتخزين الخبراتي، و كيف عبر عنه نفسيا؛ غضب، عنف، بشفافية، بالترميز و الإيحاء.....

ـ إعادة التصييغ؛ تنقيح الفنان لنص وفق مراعات تراتبية إحساساته و شعوره المتذبذب...

ـ التفرد الإبداعي؛ التميز عما أبدع سابقا في مجالات الإبداع حتى و لو كان من مبدعاته، محاولة منه في تغليب "الأنا" و إبراز قوته...

ـ العصاب: و هو حالة نفسية تدفع الفنان ـ الفرد ـ إلى التعبير عن رغبات لا يعلمها غيره حتى من المقربين منه جدا.....

ـ عقدة أوديب؛ جريمة قتل الأب..مسرحية "أوديب ملكا"

ـ الأنا الفردي: الذي يتصارع مع الأنا الأعلى..

ـ الأنا الأعلى: الذي يتصارع مع الأنا الفردي.

ـ الهو: المراقب لما يقوم به الأنا الفردي و الأنا الأعلى..

ـ عقدة التسامي؛ التي تعرض فيها "فرويد" إلى مسألتين جوهريتين هما:ـ

١ ـ الواعية؛ حالة استقرار/اقتناع/ موافقة ، نفسي تقدر وضع الأشياء وفق القانون المتواضع عليه في واقع المجتمع....

٢ ـ الطاقة النفسية؛ الليبيدو

٣ ـ اللاشعور/ الخافية.

اللذان يرجع "فرويد" منشأهما إلى مكبوتات الإنسان التي تحمله و تدفعه إلى إشباع رغباته بطريقة وهمية تتبدى في : الأحلام و في الأخطاء و في زلقات اللسان و غير ذلك من الأعراض العصابية...

ـ كما لاحظ بأن "الواعية" هي الأصل و "الخافية" هي الفرع...

"كارل غوستاف يونج"

ولد سنة ١٨٧٥ في سويسرا،،،

ـ كان التلميذ المقرب جدا من "فرويد" مع "آدلر" لكنهمل مع تطور نظرياتهما و خاصة "يونج" انفصلا عنه و كون "يونج مدرسة خاصة عرفت بمدرسة يونج للتحليل النفسي للأدب".

ـ و على الرغم من أنه كون لنفسه مدرسة غير أنه حافظ على أغلب القضايا التي طرحها "فرويد" .. مع اختلافه معه في مسألتي:

ـ الطاقة النفسية/ الليبيدو...

ـ اللاشعور/ الخافية

اللذين أرجع منشأهما إلى "الأنا الجمعي" أي إلى مخزونات الجماعة النفسية و ذاكرتها المعرفية و عاداتها و تقاليدها ....و ما ينتج عنهما من غرائز و حوافز و متطلبات الحال المفروضة على الفرد.

و من هنا يمكن القول بأن "يونج" بدأ مشروعه حول علاقة النفس بالأدب سنة ١٩٢٩م في كتابه "الإنسان الحديث يبحث عن روح".

و قد اختلف "يونج" مع أستاذه "فرويد" في أيهما يؤثر أكثر في الإبداع الفني" الأنا الفردي أم الأنا الجمعي؟..و قد اختار "يونج" الأنا الجمعي" للإجابة على هذا السؤال مما أغضب "فرويد" معتبرا أن انفصال "يونج" عنه تدخل ضمن "عقدة أوديب" لأنه اعتبر نفسه أنه أب ل ـ "يونج".....

ينظر كتاب "فرويد و التراث الصوفي اليهودي"

- و في هذا المضمار اقتنص حادثة من الأدب الجزائري الحديث المتمثلة في تغير المقاومة من السلاح إلى المقاومة بالكلمة و بالأدب عند ما أحس "الأنا الأعلى" الجزائري بأن وسيلة المقاومة بالسلاح أصبحت غير مجدية حتى سنة ١٨٨٠م حيث استطاعت القوات الفرنسية أن تكتسح كل التراب الوطني رغم تعدد المقاومات و كثرة الأبطال.

علم النفس اللغوي

لماذا علم نفس اللغة

ماهية علم النفس اللغوي

وظائف اللغة

اللغة والفكر والمعنى

الجوانب الاجتماعية والنفسية للغة